Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 4, Issue 2 (2025) • P: 59 - 48
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The sociological aspect of language according in Blaggat Alnisa to Aben Taiffor (280h) (The discourse of woman with her husband)

Ms. Alhanouf Ali Al-Feredi*, Prof. Abdul-Lateef Marzouq Al-Solami
Faculty of Languages and Translation | University of Jeddah | KSA

Received: 01/01/2025
Revised: 08/01/2025
Accepted: 02/02/2025
Published: 15/06/2025

* Corresponding author: Alferedi@hotmail.com

Citation: Al-Feredi, A. A., Al-Solami, A. M. (2025). The sociological aspect of language according in Blaggat Alnisa to Aben Taiffor (280h): The discourse of woman with her husband. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 4*(2), 48 – 59. https://doi.org/10.26389/AJSRP.N030125

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This research falls within the field of linguistics, specifically the sociology of language, also known as sociolinguistics or the sociology of linguistics. The study highlights the importance of the interaction between language and society and aims to explore and analyze the sociological and linguistic dimensions in *Balāghāt al-Nisāʾ* as recorded by Ibn Ṭayfūr. By employing sociolinguistic theory, the research seeks to understand various phenomena in different social contexts, such as social class distinctions, gender differences, linguistic communication elements, and communicative competencies. The study clarifies the conceptual dimensions, methodologies, and tools of sociolinguistic theory by illustrating the reciprocal relationship between language and society. It analyzes how language is used as a tool to express identity and explains linguistic differences among social groups, along with the impact of social factors such as class, gender, and geographical location.

The study adopts a descriptive-analytical approach to segment and interpret texts while linking them to their surrounding social conditions. The research is limited to *Balāghāt al-Nisāʾ* by Ibn Ṭayfūr, particularly focusing on women's discourse with their husbands. This selection is due to the book's significance as one of the early Arabic sources that document women's eloquence in refuting opponents, including figures of authority. The study aims to analyze the elements of linguistic communication, including the sender, receiver, message, code, context, and the nature of communication, to understand how women conveyed and expressed their emotions. The findings confirm that women's discourse with their husbands aligns with sociolinguistic theory, reaffirming the strong and reciprocal relationship between language and society. Furthermore, the study emphasizes that the social nature of linguistic communication elements serves as the overarching framework within which all other linguistic components function.

Keywords: Balāghāt al-Nisāʾ, sociology of language, sociolinguistics, linguistic communication, social classes.

سوسيولوجيَّة اللُّغة في بلاغات النِّساء لابن طيفور(280هـ) (خطاب المرأة مع زوجها نموذجا)

أ. الهنوف علي الفريدي*، الأستاذ الدكتور/ عبد اللطيف مرزوق السلمي
كلية اللغات والترجمة | جامعة جدة | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يندرج هذا البحث ضمن ميدان من ميادين اللسانيات وهو سوسيولوجية اللغة، أو ما يعرف اصطلاحًا باللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي، تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية التفاعل بين اللغة والمجتمع، وتهدف إلى اكتشاف وتحليل الأبعاد السوسيولوجية واللغوية في بلاغات النساء كما ذكرت عند ابن طيفور، باستخدام النظرية السوسيولوجية اللغوية لفهم الظواهر المختلفة في السياقات الاجتماعية المتنوعة، مثل: الطبقات الاجتماعية والاختلافات الجندرية وعناصر الاتصال اللغوي والكفاءات الاتصالية، فتكشف النظرية عن أبعادها المفاهيمية ومناهجها وأدواتها بتوضيح العلاقة التبادلية بين اللغة والمجتمع وتحليل استخدامات اللغة كأداة للتعبير عن الهوية، وتفسر الفروقات اللغوية بين الفئات المجتمعية وأثر العوامل الاجتماعية مثل: الطبقة، والجنس، والموقع الجغرافي، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي القائم على التحليل لتقسيم وتحليل النصوص وربطها بالظروف الاجتماعية المحيطة بها، واقتصرت حدود الدراسة على كتاب بلاغات النساء لابن طيفور -خطاب المرأة مع زوجها نموذجا-، نظرًا لأهميته فهو يعد من المصادر العربية القديمة التي عنيت بأدب المرأة المتميز بإفحام الخصوم من رجال السلطة وغيرهم، وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل عناصر الاتصال اللغوي: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، الرمز، السياق، وطبيعة الاتصال اللغوي لفهم كيف نقلت المرأة مشاعرها وعبرت عنها، وخلصت الدراسة إلى استجابة خطابات المرأة لزوجها لمعطيات النظرية السوسيولوجية اللغوية، مما يؤكد دور العلاقة الوثيقة والمتبادلة بين اللغة والمجتمع، وأنّ الطبيعة الاجتماعية لعناصر الاتصال اللغوي هي الإطار العام الذي تتحرك ضمنه بقية العناصر.

الكلمات المفتاحية: بلاغات النساء، سوسيولوجية اللغة، اللسانيات الاجتماعية، الاتصال اللغوي، الطبقات الاجتماعية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، وبعد..

يقوم علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics بدراسة اللّغة في علاقتها بالمجتمع، وطرائق استعمالها؛ وتكمن وظيفة هذا العلم في البحث عن الكيفيَّات التي تتفاعل وتنسجم بها اللّغة مع المجتمع تأثيرًا وتأثرًا، ومعرفة التَّغيرات التي تصيب اللغة بجميع مستوياتها استجابة لوظائفها الاجتماعيَّة.

وقد وقف أسلافنا قديمًا على هذه الظاهرة وعلى رأسهم ابن خلدون الذي تناول في مقدمته مجموعة من القضايا المتَّصلة بهذا العلم؛ منها على سبيل المثال حديثه عن: اللُّغة ملكة صناعيَّة، والتَّغير اللُّغوي، واللَّهجات العربيَّة، والازدواج اللُّغوي، واكتساب اللُّغة وتعليمها، ونحو ذلك من القضايا.

وفي العصر الحديث بذل علماء اللُّغة الغرب من أمثال دي سوسير (De Saussure)، ومايه (Maillet)، وفندريس (Vendryes)، وفيرث (Firth)، وهاليداي (Halliday) ومالينوفسكي (Malinowski) ويسبرسن (Jespersen)، وفلمور (Fillmore)، وهاريس (Harris)، وكاردنر (Kardiner)، وغيرهم جهودًا واضحة في إنشاء هذا العلم الجديد من فروع علم اللغة؛ فحاولوا اكتشاف الأسس والمعايير الاجتماعيَّة التي تحكم السُّلوك اللُّغوي، وأعادوا التَّفكير في الفروق التي تحكم قواعد العمل اللُّغوي؛ إذ تكوَّنت لدى الكثير منهم قناعة بأنَّ للُّغة استعمالات متنوَّعة اجتماعيَّة وعلميَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة ممَّا شجَّعهم على دراسة خصائص هذه الاستعمالات ومعرفة أبعاد التَّكيف اللُّغوي مع مختلف المواقف؛ ففي مطلع هذا القرن حاول بعض اللِّسانيين أن يدرسوا اللُّغة في وضعها الاجتماعي؛ إذ أعرب أنطوان مييه (Antoine Meillet) 1936م، في العديد من نصوصه عن الطَّابع الاجتماعيّ للُّغة في مقاله المشهور: (كيف تغيّر الكلمات معانيها) والذي أشار فيه إلى أنَّ تغيّر المعنى يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة، هي: الأسباب اللُّغويَّة والتَّاريخيَّة والاجتماعيَّة، وكذا أستاذ علم اللّغة وليام لابوف (William Labov) الذي يعدّ المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع اللُّغوي المعاصر، وذلك في عام 1966م حين طبع كتابه: (التَّراتيبية الاجتماعيَّة في انكليزيَّة مدينة نيويورك)، كما أنَّ له إسهامات عدَّة في مجال علم اللُّغة الاجتماعيّ، ومنها: تناول الظَّاهرة اللغويَّة بصفتها ظاهرة اجتماعيَّة، وإعادة تعريف وصف التنوّع اللُّغوي.

وتقوم هذه الدراسة على النظريات السوسيولوجية المعاصرة التي تجمع بين اتّجاهي السوسيولوجية الكلاسيكية؛ الاتَّجاه الأوَّل، ويهتمّ بالتَّحليل الماكروسوسيولوجي الذي ينظر إلى المجتمع على أنَّه أساس تحليل بالوقائع الاجتماعيَّة، والاتّجاه الثاني، ويهتمّ بالتحليل الميكروسوسيولوجي الذي ردَّ الاعتبار للفرد، وجعله نقطة انطلاق الباحث لدراسة المجتمع. أمَّا النظريَّة السوسيولوجية المعاصرة فقد قامت على صهر الاتجاهين في بوتقة واحدة.

وبالنِّسبة لمدونة البحث فقد قامت على كتاب بلاغات النِّساء لابن طيفور (280هـ)، وتأتي أهميَّته من كونه ألِّف في فترة مبكرة من بدايات التأليف في التراث العربي الإسلامي. وعُدَّ كتاباً رائداً وغير مسبوق في هذا السيَّاق وهو كتاب ثريّ في مادته يصوّر لغة المرأة ما بين الجاهليَّة والإسلام عن طريق ما روي عنها من شعر ونثر، إذ يذكر ابن طيفور أنَّه تناول في كتابه جملة من طرائف كلام النِّساء وملح ذوات الرأي منهنَّ، ونوادرهنَّ وأشعارهنَّ في الجاهلية وصدر الإسلام، كما يظهر من غزارة مادّته نشاط المرأة الإبداعي والبلاغي، كما أنَّ الكتاب يعدّ منبعًا لدراسة المرأة العربيَّة من النواحي الأدبيَّة والاجتماعية والسيكلوجية.؛ لذلك وقع اختيار الباحثة على هذا الكتاب الذي استند على جملة من المسوّغات لعل من أهمها ما يأتي:

- رغبة الباحثة في دراسة موضوع يعنى بدراسة التفاعل بين اللغة والمجتمع، وفق النظريات الحديثة في علم الاجتماع اللغوي.
- قلَّة الدِّراسات التي تناولت بلاغة المرأة في العصر الجاهلي والإسلامي في ضوء علم اللغة الاجتماعي.
- إحياء التُّراث العربي وفق معطيات النظريات الحديثة مما يسهم في ديمومة الثقافة العربية.

وتكمن أهمية البحث في أنّه يُمكِن أن يُسْهم- في جانبه النَّظري- في إثراء المحتوى العلمي اللُّغوي في الدراسات السوسيولوجيَّة اللغويَّة، وتزويد المكتبة العربيَّة ببحث يتَّصل بالدِّراسات البينيَّة، لما لها من أهميَّة في الدِّراسات اللسانيَّة، ويُمكن الاستفادة من نتائج هذه الدِّراسة في الدِّراسات المُستقبليَّة المُماثلة، أو المُغايرة لمعرفة الفروق.

أمّا بالنسبة إلى الدراسات السابقة التي تناولت هذا الكتاب، فكانت منهجياتها مختلفة ومنها: (سمات الأدب النِّسائي في: بلاغات النساء لأحمد بن طيفور، عبد اللطيف الأرناؤوط، بحث منشور في مجلة التراث العربي، اتّحاد الكتاب العرب، المجلد 13، العدد 50، سوريا،1413هـ- 1993م، الصفحات: 104 – 119)، و (المصاحبات اللغوية في كتاب (بلاغات النساء) دراسة تطبيقيَّة، أبو بكر الهادي أبو القاسم الأحمر، رسالة ماجستير، 2010م، كلية الألسن، جامعة عين شمس)، و (كتاب بلاغات النِّساء لابن طيفور دراسة نقديَّة، لمسعودي سعاد، في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر)، و (تقنيات الحجاج في حوارات النساء بلاغات النساء لابن طيفور نموذجا، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاى البارود، أحمد عبد العظيم محمد علي، مايو 2023م)، و (دلالة الاستلزام بين النظرية والتطبيق كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور نموذجًا، عبد العزيز السيد عبد العزيز البديوي، كلية الألسن -جامعة عين شمس

2022م)، و (الإشاريات الشخصية في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (280هـ)، دراسة تحليلية، زكي فليح حسن/ ندى محمد حسين، مجلة ابن خلدون 2022م) .

وغير ذلك من الدراسات الكثيرة، التي لا يتسع مقام البحث لذكرها، ويختلف هذا البحث عن تلك الدراسات بموضوعه وطريقة تناوله، وعينة دراسته؛ فهو يتناول ما جاء في كتاب بلاغات النساء من خطاب المرأة مع زوجها وفق ما جاء في نظرية سوسيولوجية اللغة، وهذا ما لم نجده في تلك الدراسات مع كثرتها.

وتمحورت مشكلة البحث حول معرفة ما يُحدثه التَّفاعل بين لُغة خطاب المرأة البليغة مع زوجها والمجتمع وفق النظريَّة السوسيولوجية الحديثة، وترتَّب على هذه المشكلة الأسئلة الآتية:

1- ما الطَّبيعة الاجتماعية لعناصر الاتصال اللغوي في بلاغات النساء موضع الدراسة؟
2- كيف نحلل الكفاءة التَّواصلية، وعلاقتها بالخطاب في عينة الدراسة من وجهة نظر سوسيولوجيَّة؟
3- ما المُتغيرات السوسيولوجيّة التي يمكن متابعتها وملاحظتها في خطاب الزوجة لزوجها ما بين الجاهليَّة والاسلام؟
4- ما طبيعة الفروق اللُّغوية بين أبنية النُّصوص الشِّعريَّة والنَّثريَّة، وارتباطها بالطَّبقة الاجتماعيَّة التي ينتمي إليها المرسل والمتلقي؟
5- هل كشفت بلاغة المرأة في عينة الدِّراسة عن الأبعاد المعرفيَّة والنَّفسية والاجتماعيَّة الخاصَّة بها؟

وعليه، انطلق هذا البحث من عدة فرضيات يمكن حصرها في التصور التالي:

- تظهر العلاقة التلازمية بين البعدين اللغوي والاجتماعي في الاستعمالات اللغوية لدى أهل البيئة الواحدة.
- توجد علاقة وثيقة بين اللغة والمتغيرات الاجتماعية.
- لا تفرض اللسانيات الاجتماعية تجانسا في الحقول المعجمية أو البنى التركيبية.
- وجود معيار الاتصال اللغوي داخل الجماعة شرط لوجود الجماعة الكلامية.
- وجود مجتمعات أحادية اللغة لا يستوجب وجود جماعة لغوية متجانسة.

أمّا عن منهج البحث وإجراءاته فقد اتبعت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي القائم على التحليل، والإجراءات المُتبعة هي:

1. دراسة النَّظرية السّوسيولوجيَّة بين علم الاجتماع واللغة، وتسجيل أبعادها المفاهيميَّة.
2. جمع نتائج البحوث والدراسات السَّابقة التي وظفت علم اللغة الاجتماعي في التراث العربي للاستفادة منها.
3. قراءة النُّصوص النثريَّة والشعرية في كتاب بلاغات النساء موضع الدراسة قراءة براغماتية.
4. تحليل لغة عينة الدّراسة في بلاغات النساء من ناحية:
   - عناصر الاتصال اللغوي.
   - الكفاءة التواصلية.
   - المتغيرات اللغوية وفق مستويات اللغة (الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي).

وحدود البحث تمثلت في:

الحدود الموضوعية: خطاب الزوجة مع زوجها في كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور، والبالغ عددها خمسة عشر نصًا في خمس وخمسين صفحة.

الحدود الزمنية: تمتد بين العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

الحدود المكانية: كتاب ابن طيفور «المنثور والمنظوم»، وهو من أحسن ما نظم أو نثر في العربية في عصره، في أربعة عشر جزءًا، بقي منها جزءان ، أحدهما الحادي عشر، طبعت قطعة منه باسم «بلاغات النساء» (هذا الكتاب). والآخر الثاني عشر، مخطوط بالمتحف البريطاني. والجزء المحقق يحكي بلاغة المرأة في جزيرة العرب.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على فصلين يحتوي الفصل الأول على ثلاثة مباحث، والفصل الثاني على أربعة مباحث، يسبقها تمهيد درستُ فيه المدونة والإطار الزماني والمكاني، والتحولات الاجتماعية وعلاقتها بالمدونة، والتعريف بصاحب بلاغات النساء والنسق العام لكتابه، وقد اختتمت هذه الدراسة بخاتمة ذكرتُ فيها أهم نتائج البحث التي توصلت إليها، تلتها قائمة بأسماء مصادر البحث ومراجعه.

أمّا فصول الرسالة فهي على النحو التالي:

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة.

المبحث الأول: اللغة.

المبحث الثاني: السوسيولوجيا اللغوية.

المبحث الثالث: العلاقة بين اللغة والمجتمع.

الفصل الثاني: الإطار التطبيقي للدراسة.

المبحث الأول: الطبيعة الاجتماعية لعناصر الاتصال اللغوي في بلاغات النساء.

المبحث الثاني: تحليل الكفاءة التواصلية في بلاغات النساء.

المبحث الثالث: تحليل الخطاب في بلاغات النساء من وجهة نظر سوسيولوجية.

المبحث الرابع: تحليل الخطاب الحجاجي في بلاغات النساء من وجهة نظر سوسيولوجية.

وأخيرًا، أتمنى أن أكون قد أعطيت الموضوع حقه من البحث والاستقصاء، وأن أكون قد وُفّقت فيها إلى ما يُسهم في إثراء مجالها، وإنني لا أدعي الكمال فيه؛ لأن الكمال لله وحده، وأسال الله الكريم أن يجعل هذا الدراسة من العلم النافع والعمل الصالح، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: السوسيولوجيا اللغوية:

هي فرع من فروع اللغويات والعلوم الاجتماعية، التي تدرس التفاعل بين اللغة والمجتمع، وتسعى إلى فهم كيفية تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على استخدام اللغة وتطويرها، وكيف تعكس اللغة، وتشكل الهوية الاجتماعية والثقافية، وتجمع بين دراسة اللغة والتحليل الاجتماعي.

يسعى البحث إلى فهم التأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع؛ لذلك لابد لنا من التفريق بين هذين المصطلحين:

أولًا- علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية (**Sociolinguistics**):

فرع من فروع علم اللغة يهتم بتأثير المجتمع على اللغة، يركز على دراسة اللغة واستخدامها في سياقات اجتماعية مختلفة، كما يدرس كيفية تغير اللغة بمرور الوقت، وكيف تعكس اللغة التغيرات الاجتماعية، فقد عرّف هدسون علم اللغة الاجتماعي بأنّه: "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع" [1]، ويضم التباين اللهجي، والتغيير اللغوي، والتواصل بين اللغات.

ثانيًا- علم الاجتماع اللغوي أو السوسيولوجيا اللغوية (**The Sociology of Longuage**):

فرع من فروع علم الاجتماع يهتم بتأثير اللغة في المجتمع، يركز على دراسة المجتمع وكيفية استخدام اللغة للتعبير عن العرق، والجنس، والهوية، والطبقية الاجتماعية، كما يدرس كيفية استخدام اللغة للتأثير على السلوك الاجتماعي والرأي العام، وعرّف هدسون علم اجتماع اللغة بأنّه: "دراسة المجتمع في علاقته باللغة" [2]، ويضم التمييز اللغوي، والهوية اللغوية، واللغة، والسلطة، وفرّق أيضًا بين مفهوم المصطلحين من حيث إن علم اللغة الاجتماعي يتجه إلى دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، أمّا علم الاجتماع اللغوي فإنّه يدرس المجتمع في علاقته باللغة، ويقرر أنّ الاختلاف بين العلمين ليس اختلافًا في العناصر وإنّما اختلاف في محور الاهتمام، ويسند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أو للمجتمع.

ويرى برنار صبولسكي أنّ: "علم اللغة الاجتماعي الذي يجعل من التأثير الاجتماعي على اللغة منطلقًا له، وبين علم الاجتماع اللغوي الذي يجعل بدوره من دور اللغة في المجتمع أساسًا له" [3]، فالأول ينتمي إلى حقل الدراسات اللغوية، أمّا الآخر ينتمي إلى حقل دراسات علم الاجتماع.

مفهوم السوسيولوجيا:

ابتكر العالم الفرنسي أوجست كونت كلمة سوسيولوجيا، حيثُ يُعد أول من نحت مصطلح علم الاجتماع (Sociologie) سنة 1839م، فهو يتكون لديه من (logie) بمعنى علم أو معرفة، وكلمة (Société) التي تدل على المجتمع [4]، وقد ارتبط ظهور علم الاجتماع به، فهو أول من أطلق عليه اسم الفيزياء الاجتماعية بعد تيمنهِ بالعلوم الطبيعية، والتي استعان بها كونت من كتابات أستاذه سان سيمون، ثم أطلق عليها علم الاجتماع [5]؛ فيقول مارسيل موس (Marcel Mauss):"السوسيولوجيا هي كلمة وضعها أوجست كونت ليشير بها إلى العلم الذي يعنى بدراسة المجتمعات ... وكل ما تصادر عليه السوسيولوجيا هو، ببساطة، اعتبار أن ما يسمى بالوقائع الاجتماعية هي وقائع موجودة في الطبيعة. أي: إنها خاضعة لمبدأ النظام والحتمية الكونيين، وأنها، بالتالي، وقائع تنطوي على معقولية"[6]، أمّا إميل دوركهايم " فيصف علم الاجتماع بكونه

(1) - هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ط2، (القاهرة: عالم الكتب)،1990م، ص12.

(2) - المرجع نفسه، ص17.

(3) - صبولسكي، برنار، علم الاجتماع اللغوي، (الجزائر: دار المطبوعات الجامعية)، 2010م، ص29.

(4)- ينظر: فيليب كابان- جان فرنسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات، ط1، (دمشق: دار الفرقد)، 2010م، ص21.

(5) - ينظر: عبد الرحمن، عبد الله محمد، النظرية في علم الاجتماع، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، 2006م، ص33-34.

(6) - حمداوي، جميل، نظريات علم الاجتماع، ط1، (المغرب: مطبعة الألوكة)، 2015م، ص20-21.

علم دراسة المجتمعات" [7]، ويُعرّف ماكس فيبر السوسيولوجيا في كتابه (الاقتصاد والمجتمع) قائلًا: "هو العلم الذي يأخذ على عاتقه تفهم النشاط الاجتماعي بالتأويل، بتأويله ثم بتفسير مساره ومفاعيله تفسيرًا سببيًا" [8].

كما يُعرّف أنتوني غدنز علم الاجتماع بأنّه العلم الذي يُعنى: "بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية، إنه مشروعٌ مذهلٌ وشديد التعقيد لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية. ومن هنا فإن نطاق الدراسة الاجتماعية يتسم بالاتساع البالغ، ويتراوح بين تحليل اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشارع من جهة، واستقصاء العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى" [9].

ويرى عبد الباسط عبد المعطي السوسيولوجيا في كتابه اتجاهات نظرية في علم الاجتماع بأنها:"علم دراسة الإنسان والمجتمع، دراسة علمية، تعتمد على المنهج العلمي، وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث" [10]، ويدرس علم الاجتماع:"علاقة الإنسان بالأفراد الذين يعيشون معه في المجتمع وعلاقة هذا المجتمع بالمجتمعات الأخرى" [11].

وبناءً على ذلك من خلال التعريفات السابقة، يمكننا القول إنّ علم الاجتماع يقع في إطار العلوم الإنسانية بشكل عام والعلوم الاجتماعية بشكل خاص، فهو علم إنساني معني بدراسة سلوك الأفراد وعلاقاتهم مع بعضهم البعض، وأثر هذه العلاقات على تأسيس وبناء المجتمع، ومدى تأثير هذه العلاقة سلبًا أو إيجابًا على حد سواء، في التماسك المجتمعي والترابط والتنمية.

الطبقات الاجتماعية واللغة:

- مفهوم الطبقة:

يشير مصطلح الطبقة الاجتماعية إلى:"كل الأفراد أو الأسر الذين تتحقق لديهم في مجتمع معين خصائص متماثلة كالقوة والدخل والثروة والهيبة" [12]، و" تستند أدبيات علم الاجتماع في تعريفها للطبقة على أحد ثلاثة محددات، وهي الثروة والمركز والقوة. وعلى هذا الأساس، فإن الطبقة يتم تعريفها بأنها مجموعة من الأفراد يحتلون مواقع متشابهة فيما يتعلق بحيازة واستحواذ بعض القيم مثل القوة أو الثروة أو السلطة" [13].

ويرى ماركس بأنّها: تمثل مجموعة من الناس يشتركون في ان لهم علاقة مشتركة مع وسائل الإنتاج ، أمّا عند فيبر فهي: فئة اقتصادية تتفاعل مع المكانة الاجتماعية والوشائج التي تربطها بالأحزاب، وبدأ بعض المتخصصين في العلوم الاجتماعية باستخدام التصنيف المهني بكثافة باعتباره أحد المؤشرات على الطبقة الاجتماعية، بينما شدد آخرون على ملكية العقار، أو على الثروة، في حين أظهرت فئة ثالثة من العلماء اهتماما خاصا بخيارات أساليب الحياة [14]، وتعرف أيضًا بأنّها : "فئة كبيرة من الناس داخل نظام طبقي تتميز بمركز اجتماعي واقتصادي واحد بالنسبة للفئات الأخرى في المجتمع. والطبقة غير منظمة، ولكن الأفراد الذين تتكون منهم يتشابهون مع بعضهم البعض في التعليم والحالة الاقتصادية والمركز الاجتماعي وفرص الحياة" [15].

وتلعب اللغة دورًا بارزًا في التقسيم الطبقي الاجتماعي، فهي تختلف من طبقة إلى أخرى فلكل طبقة من الطبقات الاجتماعية لغتها الخاصة، سواء كانت بمنحنى تصاعدي أو تنازلي، ففي الطبقات الراقية مثلًا يكون الخطاب في غاية الأهمية وما دون ذلك فتقل أهميته [16].

- **أنواع الطبقات الاجتماعية:**

1. الطبقة العليا أو (الطبقة البرجوازية الكبرى) Upper class:

هي طبقة تمتلك قدرًا كبيرًا من الامتياز والسلطة والنفوذ، فأصحابها ممن يمتلكون ثروة ضخمة ويتمتعون بنفوذ اقتصادي واسع ومستوى عالٍ من الرفاهية، وتمتاز أيضًا بشبكة علاقات اجتماعية واسعة، وقوة مهيمنة يمكنها التأثير على المجتمع بعدة طرق مختلفة، فهي التي: "تحتل أهم المواقع في البنى الاقتصادية والاجتماعية لكونها تملك وسائل الإنتاج ومصادر الثروة وتسيطر عليها" [17].

---

(7) - فيريول، جيل، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ط1، (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، 2011م، ص8.

(8) - حمداوي، جميل، جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا، ط1، (المغرب: مطبعة الألوكة)، 2015م، ص16.

(9) - غدنز، أنتوني، علم الاجتماع، ط4، (لبنان: المنظمة العربية للترجمة)،2005م، ص47.

(10) - عبد المعطي، عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، العدد 44، (الكويت: عالم المعرفة)،1981م، ص15.

(11) - العبد، صلاح، مبادئ علم الاجتماع، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، 1954م، ص1.

(12) - عبد العزيز، محمد حسن، علم اللغة الاجتماعي، (القاهرة: مكتبة الآداب)، 2009م، ص258.

(13) - غدنز، انتوني، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص366.

(14) - غدنز، المرجع نفسه، ص754.

(15) - بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، (بيروت: مكتبة لبنان)، ص62.

(16) - ينظر: زروقي، عبد القادر علي، الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي- دراسة في المفهوم وآلية البحث-، ع35، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018م، ص1007.

(17) - غدنز، انتوني، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص353.

2. الطبقة الوسطى أو (الطبقة البرجوازية الصغرى) Middle class:

تُعرف هذه الطبقة بأنها الفئة التي تقع بين الطبقة العليا والدنيا، وتتميز بكون أصحابها ممن لديهم مهارات عملية، ومهن مثل: (الأطباء والمهندسين والمعلمين)، وتعد من أبرز طبقات المجتمع، فهي تساهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، بالتالي هي: "فئة السكان في نظام التدرج الطبقي بالمجتمع وتقع بين الطبقتين السفلى والعليا. ويتمتع أفراد هذه الطبقة بقسط مناسب من الدخل والتعليم وتتضمن الموظفين والعمال المهرة ورؤساء العمل ورجال الأعمال" [18].

3. الطبقة الدنيا أو (الطبقة الكادحة) Lower class:

تُعرف بأنها الطبقة التي تعاني من ظروف معيشية صعبة وتفتقر إلى الاستقرار المالي فأصحابها من ذوي المهارات المنخفضة أو المحدودة، وبالتالي يعتمدون على الوظائف المؤقتة أو منخفضة الأجر وتضم أيضًا ممن يعانون من البطالة، إضافة إلى ذلك فهي تصارع الفقر والتمييز الطبقي الذي يجعلها في أدنى السلم الاجتماعي، فيرى غدنز بأنّها: " لا تملك وسائل عملها ولا تسيطر عليها، فتُنتج على الأغلب ليس لنفسها، بل لغيرها ويكون عملها يدوياً مأجوراً" [19].

- **العلاقة بين الطبقات الاجتماعية واللغة:**

يرى لابوف وبرينستون " أن دراسة العلاقة بين اللغة والطبقات الاجتماعية يجعلنا نميز تنوعا في اللغة طبقا لمكانة الطبقة الاجتماعية فعلى المستوى الصوتي مثلا نستطيع أن نميز عدة لهجات، وعلى مستوى القواعد النحوية نستطيع أيضا أن نميز لهجات مختلفة مرتبطة بالطبقة الاجتماعية التي كثيرا ما تتنوع في المفردات"[20].

هناك علاقة واضحة بين الطبقة الاجتماعية والاستخدامات المختلفة للغة، ولقد ميز برينستون بين نوعين للغة طبقا لمكانة الطبقة الاجتماعية هما [21]:

1. الطبقة الرسمية: وهي ترتبط بالطبقة المتوسطة، ويكون استعمال العبارات الثانوية فيها كثيرًا مثل الأفعال المبنية للمجهول، والصفات، وحروف العطف، وتستخدم في المجادلات والمناقشات الأكاديمية.
2. اللغة الشائعة: وهي ترتبط بالطبقة الدنيا أو العمالية وتستخدم في المواقف غير الرسمية، وتكثر فيها استعمال العبارات الجذابة مثل (أليس كذلك)، مع تكرار هذه الكلمات.

بناء على ما سبق نستنتج أن اللغة تعكس آثار التفاوت وعدم المساواة بين الطبقات الاجتماعية، فتختلف وتتغير حسب الفئة أو الطبقة التي يتم التحدث بها فيها، فلكل طبقة من المجتمع أنماط الكلام الخاصة بها والتي تنبع من توجهها الفكري، لذلك نستطيع التفريق بين لغة الكبار والصغار، ولغة النساء، والرجال، وغيرها.

المبحث الثاني: الطبيعة الاجتماعية لعناصر الاتصال اللغوي في بلاغات النساء

تتمحور هذه الدراسة حول كتاب بلاغات النساء لابن طيفور -خطاب المرأة مع زوجها نموذجًا-، كان لإبداع المرأة خصائصه الخاصة التي عبّرت من خلالها عن نفسها ككائن يتمتع بالقدرة اللغوية والبلاغية على صياغة الكلام، أو التخطيط، أو التفكير، أو الجدال؛ فتكشف قصص النساء عن الحلول الاجتماعية، والثقافية للمرأة، والصورة النمطية التي علق عليها الرجال في كثير من الأحيان؛ وإدراكاً لأهمية بلاغتها وقوة حجتها، فقد انتصر الحوار للصوت صاحب الخطط البليغة بحجج مُحمّلة بالدلالات الدينية، و الذي يصل بالخطاب إلى أعلى درجات الحسم.

هذا الكتاب نتاج روائي في غاية الروعة والإتقان، ويعد رائدًا في إبراز بلاغة المتكلم وإبداعه الفني الفائق، فقد صّور المرأة البليغة قريبة من صورتها الإنسانية، وبعيدة عن القوالب النمطية الشائعة.

- الاتصال اللغوي:

يعد ظاهرة إنسانية وأساسية في تفاعل الأفراد والجماعات داخل المجتمع، فمن خلال اللغة يتبادلون المعلومات والمشاعر والأفكار، ويعبرون بها عن هوياتهم وثقافاتهم، يتميز الاتصال اللغوي بكونه عملية فعالة تشمل مرسلًا ينقل معلومة، ومستقبلًا يفهمها ويتفاعل معها، وذلك ضمن سياق اجتماعي معين.

ترتكز عملية الاتصال اللغوي على عدة عوامل، مثل قدرة المتحدث على التعبير، والمستقبل على الفهم، والظروف المحيطة بهم، فهو ليس مجرد عملية نقل المعلومات، بل وسيلة لبناء العلاقات الاجتماعية، وتعزيز التفاهم بين الأفراد.

---

(18) - بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص63.

(19) - غدنز، انتوني، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص361.

(20) - دمياطي، محمد عفيف الدين، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، ط2، (إندونيسيا: مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع)، 2017م، ص25.

(21) - ينظر: دمياطي، المرجع نفسه، ص25-26.

يعد التواصل عند رومان جاكبسون هو الوظيفة الأساسية للغة، فقد تأثر بأعمال فرناند دي سوسير في وضعه لهذه النظرية وذهب إلى أنَّ: "اللغة ذات بعد وظيفي، وأنَّ لها ستة عناصر، وست وظائف: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية" [22]

نموذج عناصر التواصل اللغوي عند جاكبسون [23]:

مرجع

مرسل ـــــــــــــــــــــــــــــــ رسالة ـــــــــــــــــــــــــــــــ مرسل إليه

اتصال/ سياق

سنن/شفرة

تتجلى عناصر الاتصال اللغوي بشكل واضح في كتاب بلاغات النساء من خلال التفاعل المتبادل بين عصيمة الهدية وزوجها سعيد بن سالم، حيث عبرت الزوجة عن مشاعر البغض والنفور، وهذا يظهر من خلال الصور البلاغية والتشبيهات التي استخدمتها في التعبير [24]:

تزوجت عصيمة بنت زيد الهدية رجلاً من قومها يكنى أبا السميدع واسمه سعيد بن سالم، فأبغضته بغضاً شديداً فتأذته فليمت في ذلك فقالت:

يقولون لم تأخذ عصيمة مهرها ... كان الذي يلحى عصيمة لاعب

ولو مارسوا ما كنت فيه لأحرجوا ... ورائي ولم يطلب إلى المهر طالب

كأن رياحاً من سعيد بن سالم ... رياح طبة بالت علها الثعالب

فإن انفلت منه فإني حبيسة ... طوال الليالي ما عاد الله راغب

يظهر النص استخدامًا فريدًا للأساليب البلاغية في تمثيل مشاعر الزوجة، فمن خلال التشبيهات والاستعارات والتكرار يتبين لنا التوتر العاطفي ومشاعر البغض والنفور، فنجد أكثر من صورة تشبيهية:

تشبيه مرسل ↓ **(كأن الذي يلحى عصيمة لاعب)**

تشبيه مرسل ↓ **(رياح طبة بالت علها الثعالب)**

فهذه الصورة جاءت بها الشاعرة لتبين أن زوجها ذا صفات مذمومة وخصال سيئة، وقد تضررت وتأذت منه فلامها وعاتها بعض أهلها، مما جعلها ترسم هذه الصورة التشبيهية؛ كدلالة على إثبات معاناتها؛ لردعهم عن إساءتها وانتقادها؛ لأنّها ترى من يلومها لم يعش مع زوجها ويرى مارأت منه، فهو من منظورها ليس سويًا أو متزنًا، وقد وصلت معه من الصبر حدًا؛ حيث بدأت تشكوا معاناتها فلما ليمت شهت من لامها بالذي يرتع ويلعب وأرادت القول: بأن كل من يلومني فكأنه يلعب، ولو عاش معه كما عشت لفر تاركًا حتى المهر، ثم جاءت بعدها بصورة أخرى فضحت فها عن صفة من صفاته التي لا تحتمل، وهو (بربح الجلد التي بالت عليه الثعالب) فصارت رائحتها لا تطاق حتى من بعيد، فكيف بمن كان قريبًا منها.

يتبين لنا أن الشاعرة خصصت هذا الأسلوب من التشبيه تحقيرًا وإهانة لزوجها الذي بغضته، إذ وصفته وصفًا يدل على أنّه ضعيفًا ولا يدافع عن زوجته وقت الشدة والمصاعب، وأنّه هو من وضع نفسه موضع الذل إذ لا نفع فيه كما لا نفع بالجلد المستطيلة التي تكون في الدلو فإذا بالت عليه الثعالب نفر عنها الناس بسبب كراهة ريحها وهجر الدلو لعدم الانتفاع منه؛ بهذا التشبيه فإنّ الزوجة لم تبقي بين زوجها وبين المشبه به فرق، بل أصبحت تلك الجلدة أصلا برأسها، فحاله بحالها الذي هو نفور الناس وهجرانهم عنها، أو رمها بعيدًا للنجاة والتخلص من نتانها وفسادها، وبذلك نجحت الشاعرة في جعل المتلقي الذي يلمها يسلم تسليما تامًا بمنح الحق لها، وذلك لحسن وجمال إبداعها في رسمها للصورتين التي تداخلت عناصرهما تداخلاً قويًا نتيجة بدأتها بالتشبيه التلقائي العفوي وثم الإفاضة عليه بالخيال والتصوير الذي أعطى النص إبداع وجمالية.

نجد بأن اللغة كانت أداة للتعبير عن الاحتجاج، أو مشاعر الرفض على واقعها الاجتماعي، من خلال ألفاظ برزت في النص (يلحى، مهر، انفلت، حبيسة)، تحمل في طياتها تأثير المجتمع على علاقتها الزوجية.

(22) - حمداوي، جميل، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، ط1، شبكة الألوكة، 2015م، ص10.

(23) - جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ط1، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، (المغرب: دار توبقال للنشر)، 1988م، ص27.

(24) - ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ط1، (دمشق: دار نور حوران، دار العرّاب)، 2018م، ص143-144.

- وتتمثل مسيرة التواصل في العناصر الآتية:

المرسل	المرسل إليه	الرسالة	السياق	القناة	الشفرة
الزوجة (عصيمة النهدية)	الزوج (سعيد بن سالم) المجتمع	1. يقولون لم تأخذ عصيمة مهرها ... كان الذي يلحى عصيمة لاعب 2. يطلب إلى المهر طالب 3. كأن رياحاً من سعيد بن سالم ... رياح طبة بالت عليها الثعالب	الظروف الاجتماعية التي تبرر رفض الزوجة لزوجها وعدم قبولها لهذا الزواج	الشعر	تكرار الألفاظ (عصيمة، عصيمة يطلب، طالب، رياحًا، رياح)

فالعملية التواصلية التي نجدها في النص، تتجلى في المشاركة بين طرفين، من خلال هذه الأبيات الشعرية، ويعبر النص عن رسالة واضحة تجمع بين الإبلاغ والإخبار والمخاطبة، فيتحول المرسل (المتكلم:عصيمة) إلى مستقبل للحديث الدائر عنها (يقولون)، ويتحول المرسل إليه (زوجها- المجتمع) إلى مرسل مضاد يتفاعل مع مضمون الرسالة، والتكرار هنا يحمل دلالة على المعاني التي تريد الزوجة التأكيد عليها مما يبرز شخصيتها وموقفها وحضورها القوي.

أنواع التواصل اللغوي:

1- التواصل اللفظي:

يعتمد التواصل على أصوات ومقاطع وكلمات وجمل، إذ يتواصل متكلمو لغة إنسانية معينة، بسهولة ويسر، وذلك أنّ كل منهم يستخدم نسق القواعد نفسه، الأمر الذي يتيح له سهولة استقبال وإرسال وتحليل المراسلات اللغوية، وهذا ما يحدث عن طريق ما نسميه شكل التواصل الكلامي، وهو الأكثر استعمالًا [25].

2- التواصل غير اللفظي:

يستخدم الإنسان وسائل كثيرة غير لفظية تصدر عنه، بهدف نقل المعلومات، أو الأفكار، أو المشاعر، أو بهدف المساعدة على نقلها، أو الدقة في التعبير عنها [26].

طبيعة التواصل اللغوي:

يعد التواصل اللغوي عملية متبادلة بين طرفين أو عدة أطراف، تتم عن طريق رموز صوتية مسموعة، أو " عملية يتفاعل بها المرسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة، والتواصل اللساني ينحصر في عملية التواصل التي تجري بين البشر بواسطة الفعل الكلامي، ولكي يتصل فيه القول لا بد من استعراض منظورات ثلاثة عنه وهي الدال والمدلول والقصد لتحقيق دائرة الكلام" [27]، تتضح طبيعة التواصل من خلال الاعتماد على التفاعل المتبادل، واستخدام الرموز في سياق اجتماعي محدد.

ونجد التواصل اللفظي بوضوح من خلال الألفاظ والعبارات التي تستخدمها الزوجات في وصف أزواجهن، والتواصل غير اللفظي في التلميحات والإيماءات التي تتحدث عن المشاعر والعلاقات الجسدية في أربع زوجات يصفن أزواجهن [28]:

فقالت الأولى:

الزوج عزٌّ في الشدائد وفي الرخاء مساعد إن رضيت عطف وإن سخطت تعطف

وقالت الثانية:

الزوج لما عناني كاف ولما شفني شاف رشفة كالشهد وعناقه كالخلد لا يمل عن قرب ولا بعد

وقالت الثالثة:

الزوج شعار حين أصرد يسكن حين أرقد ومني لذتي شف مفرد وما عاد إلا كان العود أحمد

وقالت الرابعة:

(25) - ينظر: محمد نادر سراج، بحث (التواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنظر الراهن)، (مجلة الفكر العربي المعاصر)، ع80-81، ص84.

(26) - ينظر: عمر، أحمد مختار، أنا واللغة والمجتمع، ط1، (القاهرة: عالم الكتب)، 2002م، ص129.

(27) - بلعيد، صالح، دروس في اللسانيات التطبيقية، ط8، (الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع)، 2003م، ص42.

(28) - ابن طيفور، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص120.

الزوج نعيم لا يوصف ولذة لا تنقطع ولا تخلف.

حين نتأمل وصف الزوجة الأولى:

الزوج عزٌّ في الشدائد وفي الرخاء مساعد إن رضيت عطف وإن سخطت تعطف

نجد التوازن الصوتي؛ بالإضافة إلى تكرار الأصوات، في التقسيم (القائم على الموازنة) الذي يظهر كالتالي:

الشدائد ≠ الرخاء

رضيت ≠ سخطت

التضاد هنا يعكس صفات الزوج، حيث يظهر دعمه في مختلف الظروف السيئة والجيدة، اتصال لفظي استخدمت الزوجة لغة شاعرية لوصف زوجها بقولها (الزوج عز في الشدائد).

مما يتشكل في البيت الشعري كالتالي:

الزوج عزٌّ في الشدائد وفي الرخاء مساعد إن رضيت عطف وإن سخطت تعطف

وحين نتأمل وصف الزوجة الثانية:

الزوج لما عناني كاف ولما شفني شاف رشفة كالشهد وعناقه كالخلد لا يمل عن قرب ولا بعد

إن النص يحتوي على العديد من الصور البيانية والتوازنات التي يمكن تحليلها كالآتي:

- التشبيه:

رشفه = كالشهد

عناقه = كالخلد

تشبيه الرشف بالشهد (العسل) للتعبير عن اللذة والسعادة، عناقه كالخلد (الدوام) دلالة على الشعور بالأمان الدائم والراحة، إذن اتصال حسي غير لفظي بين الزوجين.

- التضاد:

قرب ≠ بعد

قولها لا يمل عن قرب ولا بعد تضاد مكاني؛ للتعبير عن عدم الملل سواء كان قريبًا أم بعيدًا مما يشير إلى دوام المحبة والرضا في كل الحالات.

- التوازن الصوتي:

لما عانني كاف ولما شفني شاف؛ فالتكرار هنا كاف = شاف يخلق إيقاعًا موسيقيًا مميزاً.

أمّا في وصف الزوجة الثالثة:

الزوج شعار حين أصرد يسكن حين أرقد ومني لذتي شف مفرد وما عاد إلا كان العود أحمد

تواصل لفظي يعبر النص عن دور اللغة في تصوير المشاعر وتجسيد العلاقات الزوجية ضمن ألفاظ تفصح عن الحب والشعور بالدعم العاطفي والجسدي، كقولها: (شعار حين أصرد) أي: يشبه الثوب الملاصق للجسد حين يبرد ويمنح الدفء والراحة، و (يسكن حين أرقد) أي: يبعث على السكينة والراحة عند النوم، ونجد هناك انسجام صوتي بين الكلمتين (العود أحمد) مما يعزز نبرة موسيقية لافته.

وفي وصف الزوجة الرابعة:

الزوج نعيم لا يوصف ولذة لا تنقطع ولا تخلف

تواصل لفظي نرى تقديم صورة مثالية للزوج حيث يعتبر مصدر للسعادة والمتعة التي لا تتوقف أو تنفصل مع مرور الزمن، فنجد بعض الألفاظ التي تحمل معاني السعادة المطلقة (نعيم – لذة)، والتي تعزز فكرة الاستمرارية والدوام في هذه السعادة (لا تنقطع – لا تخلف)، فهذه التصورات تعكس القيم الاجتماعية التي تقدس العلاقة الزوجية المثالية والمستمرة والتي تعتبر أساسًا للرخاء والاستقرار الاجتماعي.

ونجد طبيعة التواصل تتجلى في الجدول التالي:

المرسل	المرسل إليه	الرسالة	طبيعة التواصل
الزوجة الأولى	الزوج / المجتمع	الزوج عزٌّ في الشدائد وفي الرخاء مساعد	تواصل لفظي
الزوجة الثانية	الزوج / المجتمع	رشفة كالشهد وعناقه كالخلد	تواصل غير لفظي
الزوجة الثالثة	الزوج / المجتمع	شعار حين أصرد يسكن حين أرقد	تواصل لفظي
الزوجة الرابعة	الزوج / المجتمع	نعيم لا يوصف ولذة لا تنقطع	تواصل لفظي

ردة الفعل وتأثير الرسالة اللغوي والاجتماعي:

تعتبر ردة الفعل جانبًا مهمًا في عملية الاتصال؛ لأنها توضح مدى استجابة المتلقي للرسالة وتأثره بها، وتتخطى الأبعاد اللغوية إلى التأثير على العلاقات المتبادلة والسلوك الاجتماعي، حيث تُظهر التفاعلات اللغوية القيم والمعايير الاجتماعية.

وبالتالي، فإن تأثير المعلومات يمكن أن يساعد في إنتاج فهم مشترك أو إحداث تغييرات في المواقف والآراء الفردية، و"تساعد المكانة الاجتماعية في التأثير الإيجابي على استقبال الرسالة فكلما كان المرسل ذا مكانة مرموقة يطمئن إلها الناس ويثقون فها، ويقدرونها، ويحترمونها، كلما كان استقبال رسالته والترحيب بها أكثر، وهذا لا يعني أن قيمة الرسالة الأدبية تنبع من مكانة مرسلها فقط، ولكن المكانة تعطها أهمية زائدة" [29].

وبما أن اللغة تعبر عن تواصل لغوي بين مجموعة من الأطراف في إطار موقف محدد كان لا بد من الوقوف على تحليل أطراف العلاقة التواصلية في كتاب بلاغات النساء، ومن أمثلة ذلك رثاء جارية لزوجها المتوفي [30]:

عن أبان بن تغلب قال: أضللت إبلاً لي فخرجت في بغائها فإذا أنا بجارية أعشى أشرق وجهها بصري فقالت: مالك يا عبد الله وما بغيتك قلت: أضللت إبلاً لي فأنا في طلبها فقالت: أدلك على من علمها عنده قلت: إذًا تستوجبي الأجر وتكتسبي الحمد والشكر، فقالت: سل الذي أعطاكهن فهو الذي أخذهن منك من طريق اليقين لا من طريق الاختبار، فإنّه إن شاء فعل، قال: فاعجبني ما رأيت من عقلها وسمعت من فصاحتها فقلت لها: ألك بعل فقالت: كان ونعم ولا بعل كان فدعا إلى ماله خلق فأجاب فقلت لها: فهل لك في بعل لا تذم خلائقه ولا تخاف بوائقه قال: فأطرقت طويلاً، ثم قالت:

كنا كغصنين في ساق غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من أصل صاحبه ... دهريكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمن ... أن لا يضاجع أنثى بعد مثو اتي
وكنت عاهدته أيضاً فعاجله ... ريب المنون قريباً مذ سنيات
فاصرف عتابك عمن ليس بردعها ... عن الوفاء خلاب بالتحيات

معنى الألفاظ في النص

الكلمة	معناها
أضللت	أضعت
بغائها	طلبها
أعشى أشرق وجهها بصري	أعشى من العشي وهو سوء البصروالمعنى أن جمال وجهها أخذ ببصره ونهره
سل الذي أعطاكهن	أي سله و أنت موقن بإجابة سؤالك
دعا إلى ماله خلق	إي دعي إلى الموت وهو مصيركل حي
بو ائقه	جاء بالشروالخصومة
ترحات	اجتث قطع أو انتزع
مثو اتي	أي إقامتها في القبر
عتابك - خلاب	أي موجدتك من جد به أحبه - خلاب من خلب عقل سليه

يعكس النص موقف إنسانيًا يجمع بين البحث عن المفقود (الإبل)، والإعجاب بالحكمة والفصاحة، والإخلاص لشريك الحياة حتى بعد رحيله، يبرز النص هنا الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) من خلال:

[أضللت إبلًا لي فأنا في طلبها] يعبر هنا عن الحيرة والبحث عن المفقود.

[سل الذي أعطاكهن فهو الذي أخذهن منك] تعبر الجارية عن إيمانها العميق وحكمتها في تقديم النصيحة.

وبتحليل النص نجد ألفاظ تعكس الحياة البدوية الصحراوية والبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها الخطاب فالمجتمع أثر في اللغة من خلال مفرداته المرتبطة بالبيئة الصحراوية، فاللغة أصبحت مرآة للبيئة الاجتماعية والثقافية، مثل: [أضللت، بغائها، بعل، خلائقه، بوائقه].

تميز النص بالفصاحة والبيان فيعج بالصور البلاغية التي تضفي جمالًا تعبيريًا مما يعكس بلاغة الجارية وفصاحتها من ذلك:

(29) - حسين، عبد الرزاق، مهارات الاتصال اللغوي، ط1، (السعودية: مكتبة العبيكان)، 2010م، ص48.

(30) - ابن طيفور، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص81.

الاستفهام	التشبيه	الاستعارة	الكناية
↓	↓	↓	↓
[مالك يا عبد الله وما بغيتك]	**[كنا كغصنين في ساق غذائهما]**	**[أشرق وجهها بصري]**	**[ولا تخاف بوائقه]**
أسلوب استفهام يستخدم لاستجلاء الموقف وفهم حاجة المخاطب.	تشبيه مرسل شهت نفسها وزوجها بغصنين يخرجان من ساق واحدة وكلاهما يتغذيان من مصدر واحد.	شبه جمال وجه الجارية بالشمس التي تشرق وأخذت ببصره كله.	كناية عن صفة صفة الزوج الذي لا يتوقع منه ضرر أو إساءة.

تظهر الأبيات صورة لوفاء الزوجة التي فقدت زوجها، فتقبى على الوفاء له رغم موته، فهذه الجارية التي جاء يخطبها أحد الرجال الأشراف، إلا أنّها أعرضت عن ذلك، وأجابت عليه بهذه الأبيات التي وصفت بها حالة التقارب والمودة التي جمعت بينها وبين زوجها الراحل، وتقارن بين الماضي والحاضر، وتعبر عنه بصورة الغصنين المتفرعين عن ساق واحدة تتغذى بماء الجداول، وهي لوحة لجمال الطبيعة ونضارتها، تظهر أحاسيسهم الصادقة والنقية وذلك الانسجام والقرب المتفرع عن ساق المحبة والود، وتوحي بالفرح والاستقرار، ليأتي الدهر بتقلباته ومصائبه، اقتلعت هذه الشجرة واجتث ما كان بينهما من مشاعر غامرة، أو أنّه أبعد أحد الغصنين عن الآخر بعد أن كانا متحدين مقربين، وهو ما ولّد مأساة لديها، لأنّ فصل الغصن عن ساقه يعرضه للذبول والموت، وهكذا حالها بعد فراقه.

نستشف من الشعر الذي ألقته الجارية قيمة الوفاء بالعهد، فهذا الوفاء يعكس أهمية الالتزام بالقيم الاجتماعية والأخلاقية، حيث يقدّر مجتمع البادية الإخلاص والولاء، حتى بعد وفاة الشريك، وبرزت المكانة الاجتماعية للمرأة حيث مثلت دور المرأة الحكيمة التي تقدم النص وتعبّر عن مشاعرها بفصاحة وبلاغة، إذن يعكس هذا النص التفاعل الاجتماعي التقليدي والقيم الأخلاقية والدينية، وأنّ اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل مرآة تعكس التقاليد والقيم السائدة في المجتمع.

ونرى تأثير الرسالة اللغوي والاجتماعي يتمحور على نقل الوقائع بصدق، وذلك من خلال الاعتماد على التصوير واللغة الجميلة، الأمر الذي ترك تأثيرًا متبادلًا، على نحو ما ورد في فراق قيس بن عاصم عن زوجته عندما اعتنق الإسلام ووفائها له، فجاء النص في بلاغات النساء [31]:

قال قيس: إن كنت لسارة ولقد فارقتك غيرعارة ولا الصحبة منك مملولة ولا الخلائق منك مذمومة ولولا ما آثرت ما فرق بيننا إلا الموت، ولكن الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمرهما أحق أن يطاع.

فقالت: أثنيت بحسبك وفضلك و أنت والله إن كنت لدائم المحبة كثير القفية قليل الألية معجب الخلوة بعيد النبوة، ولأن تكون أيمتي في حياتك أهون منها علي لمماتك، ولتعلمن أني لا أريح إلى حضن زوجٍ بعدك.

فقال قيس: ما فارقت نفسي شيئاً تتبعه كما تتبعتها.

معنى الألفاظ في النص

الكلمة	معناها
آثرت	فضلت
القفية	المزية
الألية	الحلف
النبوة	من نبي السهم عن الرمية
أيمتي	يقال للمرأة أيم إذا صارت بلا زوج
لا أريح	لا أستنام

فردّة الفعل في التأثير كانت من خلال الموقف الذي صوّرته زوجة قيس بن عاصم، وهذا نقل التأثير العاطفي الذي كانت تكنّه زوجته و جاء الرد مجسّداً قيمة من قيم الوفاء، بقولها: (أثنيت بحسبك وفضلك وأنت والله ان كنت لدائم المحبة كثير القفية قليل الألية معجب الخلوة بعيد النبوة ولأن تكون أيمتي في حياتك أهون منها علي لمماتك ولتعلمن أني لا أريح إلى حضن زوجٍ بعدك) فتثني عليه وتظهر مشاعرها العميقة تجاهه بأنّه كان مثالًا للزوج المحب والمخلص وتؤكد بأنّها لا تستطيع العيش مع أي شخص آخر بعده، فتظهر مشاعرها التي تكنّها الزّوجة من وفاء وإخلاص.

(31) - ابن طيفور، بلاغات النساء، مرجع سابق، ص119-120.

ورد قيس: (ما فارقت نفسي شيئاً تتبعه كما تتبعها)، يظهر تفهمه لردة فعلها ويبرر موقفه بأن الفراق ليس بسبب الجفاء أو قلة الحب، إنّما بسبب طاعة الله ورسوله واعتناقه للإسلام.

الخاتمة:

تناولت الدراسة سوسيولوجية اللغة في بلاغات النساء لابن طيفور - خطاب المرأة مع زوجها نموذجا-، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج، ومن أبرزها:

- استجابة بلاغات النساء لمعطيات النظرية السوسيولوجية اللغوية، مما يؤكد على تأثير المجتمع في اللغة.
- الاتصال اللغوي هو الإطار العام الذي تتحرك ضمنه بقية وظائف اللغة، فأصبح أي حوار عن اللغة دون الاهتمام بالموقف التواصلي لا معنى له.
- كل عنصر من عناصر الاتصال اللغوي يرتبط بوظيفة لغوية، فالمرسل مرتبط بالوظيفة التعبيرية، والمرسل إليه بالوظيفة الإفهامية، والرسالة بالوظيفة الشعرية، والسنن بوظيفة ما وراء اللغة، والسياق بالوظيفة المرجعية، والقناة بالوظيفة الانتباهية.
- برز دور اللغة كمرآة للمجتمع والأعراف السائدة والمهيمنة في ذلك العصر.

المصادروالمراجع:

- أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور. (2018). بلاغات النساء (طرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام)، (الطبعة1)، تحرير: طلال سالم الحديثي، (دمشق: دار نور حوران، دار العرّاب) .
- أحمد زكي بدوي. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت: مكتبة لبنان.
- أحمد مختار عمر. (2002). أنا واللغة والمجتمع (الطبعة 1). القاهرة: عالم الكتب.
- أنتوني غدنز. (2005). علم الاجتماع (الطبعة 4). لبنان: المنظمة العربية للترجمة
- برنار صبولسكي. (2010). علم الاجتماع اللغوي. الجزائر: دار المطبوعات الجامعية.
- جميل حمداوي. (2015). التواصل اللساني والسيميائي والتربوي (الطبعة 1). شبكة الألوكة.
- جميل حمداوي. (2015). جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا (الطبعة 1). المغرب: مطبعة الألوكة.
- جميل حمداوي. (2015). نظريات علم الاجتماع (الطبعة 1). المغرب: مطبعة الألوكة
- جيل فيريول. (2011). معجم مصطلحات علم الاجتماع (الطبعة 1). بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- رومان جاكبسون. (1988). قضايا الشعرية (الطبعة 1). (محمد الولي، و مبارك حنون، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.
- صالح بلعيد. (2003). دروس في اللسانيات التطبيقية (الطبعة 8). الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.
- صلاح العبد. (1954). مبادئ علم الاجتماع القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- عبد الباسط عبد المعطي. (1981). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع الكويت: عالم المعرفة.
- عبد القادر علي زروقي. (2018). الجماعات اللسانية من منظور علم اللغة الاجتماعي-دراسة في المفهوم وآلية البحث-. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 35.
- عبدالرزاق حسين. (2010). مهارات الاتصال اللغوي. السعودية: مكتبة العبيكان.
- عبدالله محمد عبدالرحمن. (2006). النظرية في علم الاجتماع الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- فيليب كابان، و جان فرنسوا دورتيه. (2010). علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات (الطبعة 1). دمشق: دار الفرقد.
- محمد حسن عبد العزيز. (2011). علم اللغة الحديث (الطبعة 1). القاهرة: مكتبة الآداب.
- محمد عفيف الدين دمياطي. (2017). مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي (الطبعة 2). إندونيسيا: مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع.
- محمد نادر سراج. (أكتوبر, 1990). التواصل غير الكلامي بين الخطاب العربي القديم والنظر الراهن. مجلة الفكر العربي المعاصر، الصفحات 82-94.
- هدسون. (1990). علم اللغة الاجتماعي (الطبعة 2). (ترجمة: محمود عياد) القاهرة: عالم الكتب.